الفصل الثالث

الاحوال الطبية في العهد التركي

الدراسة الطبية في العهد التركي قبيل الحرب العامة ، الحالة الصحية في العراق في الخمسين سنة السابقة لقيام الحكم الوطني ، مشاهير المتطبين والمشعوذين • كلية حيدر باشا ، مستشفى الغرباء ، حكيم خدادا ، ادلر ، لازار ، يانكو ، السيد احمد ، ارسطو ، القندهاري ، فرحة خاتون ، اسباب انتشار المشعوذين في العراق

obeikandi.com

المدارس الطبية والمستشفيات في العهد العثماني

بعد ان عفى الزمان على تلك النهضة العلمية الرائعة التي قدمها اجدادنا العرب للبشرية ظل الشرق الادنى يتخبط في دياجير معتمة من الانحلال في كل مرافق الحياة ؛ ومرت السنون المظلمة تتابع بعضها ، والدجل والشعوذة يحلان محل العلم والمعرفة ، والخرافات تقيد الافكار بسلاسل من حديد ، والمستوى العلمي في هبوط مستمر حتى اصبح في حكم العدم لولا بعض المحاولات البسيطة التي كانت تقوم بها الدولة العثمانية في عهد ازدهارها في سبيل النهوض بذلك المستوى .

ومن تلك المحاولات ان امر السلطان سليمان القانوني بانشاء مدرسة للطب في استنبول عام ٩٥٧ هـ (١٥٤٢ م) فقامت قرب الجامع المعروف باسمه في المحل الذي اتخذ بعد ذلك دارا للحديث وقام بقربها دار للعقاقير ، ولم تصل الينا معلومات كافية عن هذه المدرسة عدا انها كانت تقوم بتدريس الطب اليوناني العربي على الطراز القديم .

وفي سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٧ م) قام السلطان محمود العثماني بمحاولة كبرى في ذلك السبيل ؛ فقد امر بتأسيس اول مدرسة طبية راقية فقامت باسم (طبخانة) وجلب لها الاساتذة من اوربا ودرس فيها الطب الحديث ليتخرج عدد كاف من الاطباء لسد احتياج الجيش وذلك كما فعل الخديوي محمد علي باشا باعث النهضة العربية في مصر . وانشأ في التاريخ عينه مدرسة منفصلة خاصة بالجراحة سميت (جراحتخانة) ثم الحقت عام ١٢٥٤هـ ١٨٢٧ م بمدرسة الطب واضيف اليهما مدرسة خاصة بالصيدلة وسمي المعهد الجديد باسم (دار العلوم الحكميه عثمانيه ومكتب طبيه عدليه شاهانه) وذلك نسبة للسلطان محمود الذي كان يلقب بالعدلي ؛ ثم ابدل اسمها الى (مكتب طبيه عسكريه شاهانة) ودامت تعمل على تخريج الاطباء وتتدرج في الرقي .

وفي عام ١٨٨٢ هـ ـ ١٨٦٥ م امر السلطان عبدالعزيز بانشاء مدرسة طبية اخرى لتخريج الاطباء الملكيين فقامت باسم (مكتب طبية ملكية شاهانة) ، ولم يكن القصد من تأسيسها تخريج الاطباء الملكيين فحسب ؛ وانما كان المقصد الاول هو قلب لغة التدريس من الافرنسية ، وكانت اللغة المعمول بها في المعهد الطبي العسكري الذي مر ذكره ، الى اللغة التركية ..

ولما تكاثر عدد الاطباء المتخرجين تكونت الادارة الصحية العسكرية وذلك عام ١٢٨٦ هـ واعقبتها بعد ذلك الادارة الصحية الملكية عام ١٢٨٨ هـ. وكان المتخرجون من المدرسة الطبية العسكرية يلتحقون بالجيش برتبة مقدم عدا ثلاثة قبلهم الحقوا برتبة زعيم بصورة استثنائية . ثم صاروا يلتحقون برتبة رئيس اول (قول اغاسي) . وفي عام ١٢٨٦هـ صدرت الارادة السنية بجعل رتب الاطباء العسكرية رتبا دائمية وكانت قبل ذلك موقتة ، ثم الحقوا برتبة رئيس وصار واحدهم يلقب بمساعد طبيب ثم يرقى بعد سنتين الى رتبة رئيس اول ويلقب بطبيب وذلك بعد ان يجتاز امتحانا خاصا ثم يرقى الى رتبة مقدم بعد ثلاث سنوات . ثم ابطل هذا النظام فيما بعد وصار يمنح الخريج رتبة رئيس ثم صدرت (نظامنامة التشكيلات الصحية) التي جعلت رتبة المتخرج ملازما ثانيا على ان يمارس في مدرسة التطبيقات الموجودة في الكلخانة ثم يرفع الى رتبة ملازم اول ويمارس في الجيش سنتين يصبح بعدها رئيسا .

تلك هي الاسس التي سارت عليها المدرستان الطبيتان . ولما سارت فكرة جعل التدريس باللغة التركية سيرا مطردا وتكونت المدرسة الطبية الملكية لتكون ميدانا للتجربة ونجحت هذه التجربة نوعا صدر الامر بتوحيد المدرستين وذلك عام ١٩١٠ كما مر بك .

ولقد كان السبب المبرر التي تذرعت به الحكومة التركية في قبول الافرنسية لغةً لتدريس الطب هو نفس السبب الذي جعلنا نقبل اللغة الانكليزية في كلية الطب ، وهو انعدام الكتب الطبية باللغة العربية وعدم وجود الاساتذة الذين يتمكنون من التدريس بالعربية وفوضى المصطلحات الطبية وعدم توحيدها بصورة علمية ونحو ذلك . وهي اسباب جوهرية لها قيمتها وخطرها . وبقيت اللغة الافرنسية متسلطة على الدراسة الطبية في بعض النواحي حتى بعد احلال اللغة التركية في التدريس ثم تقلص نفوذها وحلت محلها عام ١٣١٠ اللغة الالمانية بعد ان توثقت العلاقات التركية الالمانية وصارت البعوث الطبية ترسل الى جامعات المانيا بعد ان كانت ترسل الى كليات فرنسا . وكان مستشفى حيدر باشا مجالا للتطبيقات الطبية حتى اهمل شأنه بعد ان قامت الحكومة التركية بتأسيس مدرسة التطبيقات في الكلخانة وجلبت لتأسيسها الاستاذ (ريدر)

obeikandl.com

الاطباء العراقيون وقت دراستهم في الكلية الطبية بالاستانه قبيل الحرب العامه
الجالسون من اليمين ـ المرحوم الدكتور داود الدبوني فالدكتور جلال العزاوي
الواقفون من اليمين ـ الدكتور فائق شاكر فالدكتور عبدالله الدملوجي
فالدكتور يحيى نزهت .

الالماني يعاونه الدكتور (دايكه) وعدة ممرضات المانيات . فقاموا بتأسيس السريريات فيها يعاونهم من الاطباء الوطنيين جملة صالحة من خيرة الشباب التركي الذي تعلم في المانيا منهم اورخان عبدي وحمدي سعاد وتوفيق رجب وضياء بك ونحوهم من الذين ابرزوا من الكفاءة والمقدرة والهمة وحسن التدبير ما اعجب الاستاذ المذكور اعجابا بالغا .

وكلفت الحكومة التركية الاستاذ ريدر بالاشراف على المدرسة الطبية الشاهانية فقام بتنسيقها على النظام الالماني فنجح في ذلك . وحدث له يوما وكان يدور فوق احد اقسام العمارة العظيمة التي كانت تشيد في حيدر باشا للمدرسة الطبية ، ان سقط الى الارض وكسر عموده الفقري ونالته من ذلك علة في رجليه اقعدته عن العمل فانسحب من الوظيفة ورجع الى بلاده وحل محله مساعده دايكه باشا ثم قام بعده رجل الماني آخر اسمه وايتنغ باشا .

وفي تلك الاثناء كان الجيش العثماني قد نسق على النمط الالماني كذلك وكان من الطبيعي ان تنال الناحية الصحية العسكرية نصيبها من ذلك التنسيق وهكذا قلبت مدرسة التطبيقات في الكلخانة الى مؤسسة عسكرية بحتة عام ١٣٢٦هـ وصار اسمها (مدرسة الكلخانة للتطبيقات والسريريات الطبية والعسكرية) .

ولما انتقلت المدرسة الطبية العسكرية الى البناء الجديد في حيدر باشا والحقت بها المدرسة الطبية الملكية ووحدت المدرستان اتخذ لها عنوان فاكولته او كلية والحق بها عدد كبير من المعلمين الذين كانوا يدرسون في مدرسة الكلخانة والذين درسوا في المانيا : غير ان الكلخانة لم تغلق دائما فقد قام وايتنغ باحيائها فازدهرت ثانية وعادت سيرتها الاولى في ميدان التمرين الطبي والاختبار السريري وصار الخريجون من مدرسة حيدر باشا ملزمين بالتدريب سنة كاملة في الكلخانة ، كما كان الاطباء القدماء الذين طال بهم العهد عن التطبيق الطبي يدخلونها لتجديد معلوماتهم واحياء ما درس منها وذلك لمدة ستة اشهر . والآن لننتقل الى مدرسة حيدر باشا الطبية وهي نتاج الادماج الذين مر بك خبره .

كلية حيدر باشا

انتقلت المدرسة الطبية الى بنائها الفخم على ساحل مرمرة في حيدر باشا وذلك عام ١٣١٩ رومية . وبدأت التدريسات فيها على الاصول الالمانية التي وضعتها لجنة حيدر باشا والتي اقترنت بالارادة السنية ، وقد خصص لها نصف البناية والنصف الآخر لاقامة الطلاب العسكريين وكانوا داخليين .

ولما تم ذلك جعلت ادارة القسم العسكري مديرية بدلا من نظارة عام ١٣٢٥ وتقلدها رجل سديد البأس قوي الارادة هو المقدم علي غالب بك يعاونه الرئيس الاول برهان الدين بك وبقت تحت ادارتهما الحازمة حتى اعلان الحرب العامة .

اما (الفاكولته) فقد فوضت ادارتها وتدبير الامور التدريسية فيها الى رئاسة مجلس المدرسين وانتخب لرآسة هذا المجلس الجراح الشهير جميل باشا ثم بسيم عمر من بعده ثم ضياء نوري وكلهم من اساتذة الكلية .

اما شروط الدخول للكلية فهي ان يكون الطالب متخرجا من احدى المدارس الاعداديه الملكية التي كانت بمثابة المدرسة الثانوية ، مع تأدية امتحان خاص عند الدخول في القسم العسكري نظرا لان عدد القبول في هذا القسم محدود .

وكان الطالب في القسم العسكري يدرس الدروس العسكرية مع دروسه الطبية . فيتلقى تعليم المشاة في السنتين الاوليتين ويتدرج بعد ذلك الى الرماية ثم الى الفروسية في النصف الخامس ويتلقى دروسا في حفظ الصحة العسكرية وخدمات الصحة في ميادين القتال ونحو ذلك .

وكان الطالب العسكري ملزما بارتداء ملابس عسكرية خاصة تماثل تلك التي يرتديها طلبة المدرسة الحربية ويتمنطقون بالحراب على شاكلة التلميذ العسكري .

وقد تخرج من هذه المدرسة الطبقة الاخيرة من العراقيين بعد الهدنة عام ١٩١٨ ومن اطبائنا المتخرجين منها الدكاترة علي فكري البغدادي (١٩٠٨) وداود الجلبي ١٩٠٩) وعبدالله الدملوجي (١٩١٣)

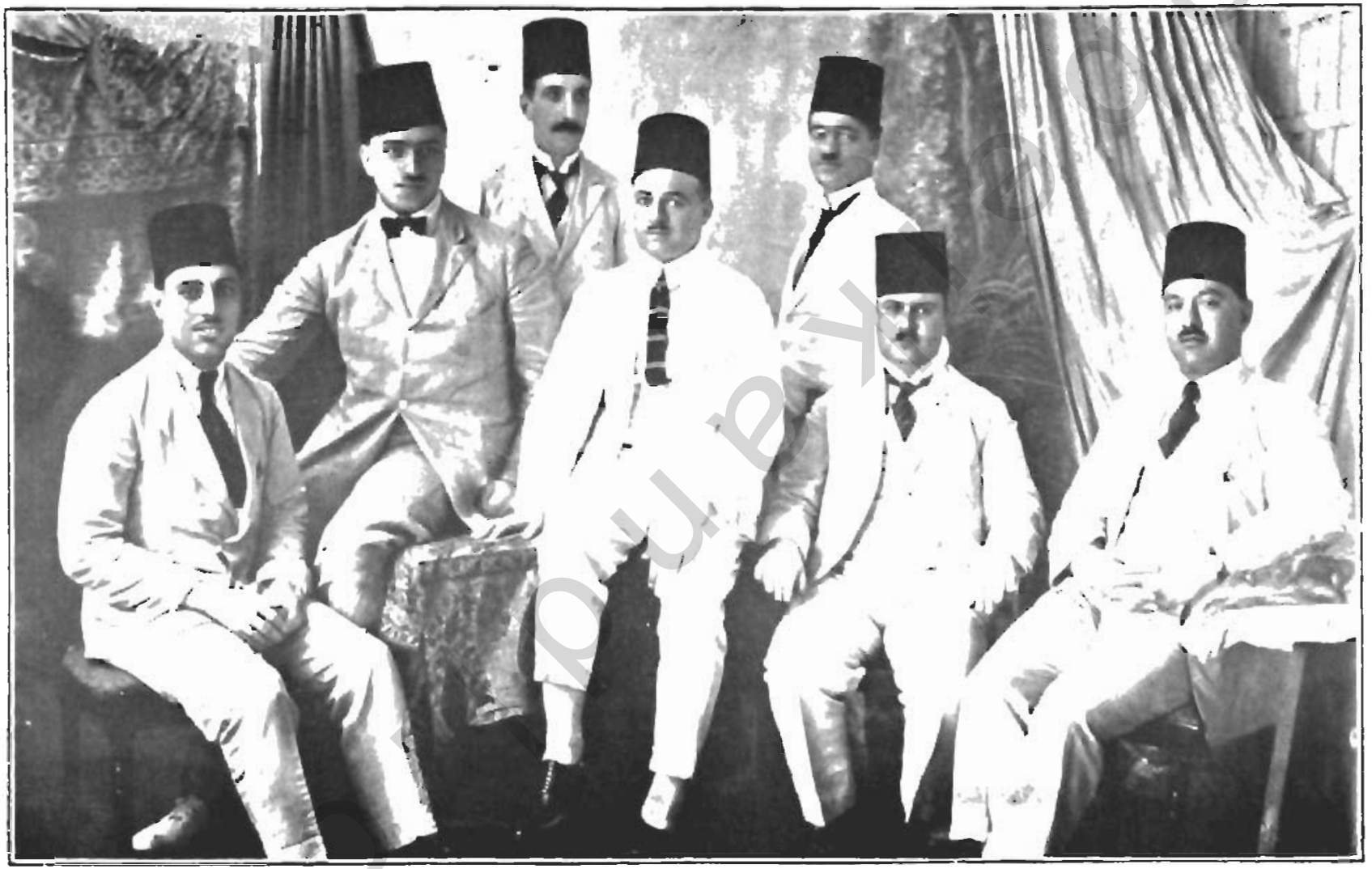

اطباؤنا العراقيون بعد عودتهم الى بغداد عقب الحرب العامة

من اليمين الى اليسار – هاشم الوتري . فائق شاكر . صادق شوكت . ناجي السويدي .
اسماعيل الصفار . صائب شوكت . شوكت الزهاوي

ويحي نزهت وجلال العزاوي والمرحوم داود الدبوني (١٩١٤) وفائق شاكر وحسين حسني (١٩١٦) ومحمد زكي وسامي شوكت (١٩١٧) وهاشم الوتري وصائب شوكت (١٩١٨) وشوكت الزهاوي (١٩١٩) وابراهيم عاكف الالوسي وتوفيق رشدي وشاكر السويدي (١٩٢٠) وغيرهم ٠

واليك قائمة الدروس واسماء الاساتذة الذين تتكون منهم هيئة التدريس في سنة ١٩١٢ م (١٣٢٨ ر) :ـ

الدروس السريرية

السريريات الباطنية	نيضي باشا جلال اسماعيل بك سليمان نعمان باشا
السريريات الولادية	بسيم عمر باشا (عميد)
السريريات النسائية	آصف درويش باشا
السريريات العينية	ضياء بك اسعد باشا
السريريات الجلدية والافرنجية	جلال مختار بك
السريريات الاذنية والحنجرة	ضياء نوري بك (العميد)
السريريات العقلية والعصبية	راشد تحسين بك
السريريات للطرق البولية	بابا افندي (مساعد استاذ)
السريريات العصبية	پەپو افندي (مساعد استاذ)

الدروس النظرية والعملية

الحكمة الطبيعية (فيزياء)	اسماعيل علي بك
الكيمياء غير العضوية	شكري عبدالرحيم بك
الكيمياء العضوية	هادي فائق بك
الحيوانات الطبية	اسماعيل حقي بك (بيطار)
النباتات الطبية	اسعد شرف الدين بك
التشريح	يوسف رامي بك (الاستاذ الفخري مظهر باشا)
الانساج	توفيق رجب بك

obeikandl.com

مبحث الرشيم	توفيق رجب بك
منافع الاعضاء	كمال جناب بك
مفردات الطب	توفيق واجد بك
العمليات الجراحية	اورخان بك
حفظ الصحة	اريستيدي باشا
التشريح الموضعي	يوسف رامي بك
البكتريولوجي	رفعت مختار بك
فن التداوي	عاقل مختار بك
الطب الشرعي	بهاء الدين شاكر بك
التشريح المرضي	حمدي معاد بك

ولا تزل هذه المدرسة باقية على مكانتها الاولى ومنزلتها التي اعترفت بها الدول الاوروبية قاطبة . وقد نقلت هذه المدرسة بعد تأسيس الحكومة الجمهورية الى استانبول في المحل الذي كان قد اتخذ للوزارة الحربية . وقد اعتزل او مات معظم الاساتذة التي ذكرنا . والمدرسة اليوم تحذو حذو الالمان في التدريس . وقد وجدنا للمدرسة مجلة تحتوي على كثير من المقالات باللغة الالمانية مما يدل على ان هناك كثيراً من الاساتذة الالمان .

المدارس الاخرى

وقامت في اطراف المملكة العثمانية بعض الكليات الطبية الاخرى وذلك في سوريا ولبنان ، وتخرج من هذه المدارس جماعة من اطبائنا العراقيين . ومن هذه المدارس كلية دمشق الطبية والكلية الامريكية في بيروت وكلية القديس يوسف وقد تخرج من هذه الدكاترة بهجت نصوري وحنا خياط ونصوري فرج والمرحوم فتح الله غنيمة ونور الله موسى وعبد الله قصير والمرحوم رزق الله بحوشي وغيرهم .

obeikandl.com

الحالة الصحية في العراق قبل الحرب العامة

دخل العراق في ممتلكات الامبراطورية العثمانية ولاية ليس لها في حياة الدولة الا تقديم الضرائب الى استامبول والا ان تكون عدا ذلك حملا ثقيلا لا يستحق عناية عدا رحمة ولاة من الصنف المتعسف المتجبر المتفنن في جميع الضرائب . فليس بدعا بعد ان تقلب هذا البلد في تلك القرون العجاف التي مرت به بعد نكبة بغداد الهائلة على يد المغول . ان تكون الحالة الصحية قبيل الحرب العامة في غاية الانحطاط والتدهور ، وان تكون بقايا العصر المظلم من خرافات وشعوذة ودجل تسرح في ميدانه حرة لا يحد شهرتها قانون ولا يوقف آثامها دين او عرف او نظام .

ثم ان الوضع الصحي في اي بلد انما هو نتيجة التفاعل بين قوي حيوية متعددة كالثقافة والاجتماع والاقتصاد ونحو ذلك ، كل تؤثر في ناحية خاصة في تكوينه : وعلى هذا فيكون لمستوى المعيشة والتعليم اثر بارز في الصحة العامة : وكل هذا يفسر ذلك الدرك الادنى الذي وصلت اليه الحالة الصحية في هذا البلد قبل الحرب العامة بالاضافة الى الارزاء والمحن والخطوب التي توالت عليه فزعزت كيانه واتلفت ناحية هامة من حيويته او كادت مما قد مر بك فيما تقدم من بحوث .

ولم تكن الادارة الصحية في مفتتح هذا القرن شيئا ذا قيمة : وانما كانت لاتتجاوز في رجالها الثلاثة عداً في طول البلاد وعرضها حتى تولى مدحت باشا الوالي المصلح فاسس مستشفى الغرباء في محل مستشفى الكرخ اليوم وكانت عدد سرره حوالي الخمسين قسمت الى داخلية وجراحية وزهرية ولم تكن فيه عيادة خارجية (Out Patient) وانما الحقت به شعبة بسيطة للاسعاف وكان المستشفى مجانيا . [1] وسنبحث الآن في تاريخ هذا المستشفى لاهميته فنقول :

---

(١) بقيت بناية المستشفى شاغرة يوم شيدها مدحت باشا لعدم وجود الاطباء اللازمين لادارته فاستعملت بادىء الامر كمدرسة اعدادية رسمية .

مستشفى الغرباء (ومستشفى نامق باشا)

اسسه الوالي المصلح مدحت باشا في الجانب الغربي من بغداد على ضفة دجلة اليمنى وذلك في سنة ١٢٨٨ رومية (١٨٧٢ ميلادية) وذلك كما يظهر من الكتابة المنقوشة على حجر لايزال موجودا وهي :ـ

«قال في تاريخ هذا القصر موسى الصفا»

«مدحت اوجد عرشا فيه للناس شفا»

وكانت هذه الموسسة تدار من قبل اطباء البلدية وبعض مأموريها حتى عام ١٣١٣ رومي١٨٨٧ ميلادي. وكان معظم اللاجئين اليه من المعوزين والمتسولين والعجزة الذين يجدونه افضل مكان يودعون به الحياة . وكان قد خصص فيه جناح خاص للمساجين والمعتوهين والعواهر . ولم يكن للنساء يومئذ شأن في التمريض. ولبث المستشفى على ذلك بضع سنوات ثم اهمل امره لعدم وجود الاطباء ثم حول الى مدرسة ثانوية (المدرسة الاعدادية الملكية) ونقلت تابعيته الى دائرة المعارف وبقى كذلك حتى قيض الله له (نجم الدين ملا) الوالي العثماني الذي جاء بعد نامق باشا الصغير والذي صاهر بيت الآلوسي فاسترده من المعارف واعاده مستشفى كما كان ونقل اليه محتويات المستشفى الذي كان قد اسسه نامق باشا من قبله وذلك في باب المعظم فهو لذلك نواة لمستشفى الغرباء فلنبحث فيه تفصيلا :ـ

مستشفى نامق باشا

ولي نامق باشا على بغداد عام ١٣١٧ رومي (١٨٩١ ميلادي) فابتنى في ظاهر باب المعظم وعلى جادة الاعظمية سلسلة من بيوت مرتفعة عن الارض على شكل (بايونات) يحتوي كل منها على ردهة كبيرة وعدة غرف اعدت كلها لايواء المرضى وخصص احدها للامراض الباطنية والآخر للامراض الجراحية والثالث لامراض العيون وخصصت احدى الغرف لاجراء العمليات الجراحية واخرى للامراض النسائية وثالثة للصيدلة وبضعة غرف لايواء المجانين وغرفة للدائرة . وكانت الدائرة مؤلفة من مدير وكاتب ووكيل خرج يتبعهم طباخ ومعاون طباخ وبستاني وعشرون

خادما بين ذكور واناث وامام ليصلي بالناس وهذا الامام لا يزال حيا وهو الملا خضر المساعد في قسم التشريح بالكلية الطبية الملكية الآن ٠

اما الاطباء فكان منهم الطبيب الباطني والكحال والجراح ومعاونوه ومدير الصيدلية ومعاون له ٠

اما هيئة الادارة فكانت مؤلفة من الطبيب الاول (سر طبيب) والمدير (المدير الداخلي) والجراح والكحال تحت رئاسة مفتش الصحة وكان المستشفى تابعا للبلدية على ان تدفع ثلثي نفقاته ويستوفى الثلث الآخر من السنية (الاملاك السلطانية) ٠

وكان اهتمام الوالي بهذا المستشفى عظيما وكان يريد ان يجعله من الطراز الاول فجلب له الآلات والادوات الجراحية والادوية والعقاقير من اوروبا وكان النظام العربي اليوناني هو المستعمل في دق الادوية وتحضيرها فيه ٠

ومع ان رغبة الوالي في ترقية هذا المستشفى عظيمة الا انه عين لادارته رجلا يدعى محمود خان تارة وسلطان محمود تارة اخرى لا لكفاءة نادرة او مميزات بارعة وانما لانه كان لاعبا ماهرا في الشطرنج ليس له مثيل ٠

وفي اواخر سنة ١٣١٩ رومية (١٨٩٣ ميلادية) انفصل نامق باشا من الولاية فاعقبه عبدالوهاب باشا الارناووط وكان في معيته الفريق الطبيب حمدي باشا الذي انفذ الى بغداد للتفتيش عن الاحوال الصحية في العراق واصلاحها فكان من اصلاحاته ان عزل محمود خان واضاف الى الاطباء الدكتور نظام الدين للامراض الباطنية ولرئاسة الاطباء والدكتور ذهني بك للامراض الجراحية والدكتور سامي سليمان كحالا كما عين الاوسطة عباس مساعدا للجراح ٠

وكان من الاصول المتبعة ان يحصل المريض على شهادة من البلدية تنطق بفقره قبل دخوله سريريات المستشفى للمعالجة ٠ وبقي المستشفى على ذلك حتى اهمل امره كما مر بك ٠

ودامت الحال على ذلك الى ان ولي بغداد الوالي نجم‌الدين ملا بعيد الانقلاب العثماني وقد امر هذا بنقل المستشفى الى محله القديم واسترجاع البناية من دائرة المعارف لتحويلها مستشفى كما كانت على عهد الوالي مدحت باشا وكما مر بك في اول هذا الكلام ٠

وبعد فترة من الزمن عزل الوالي وتولى بعده الفريق شوكت باشا فعزل هذا كلا من الدكتور نظام‌الدين والدكتور ذهني بك واجرى كثيرا من التغييرات في هيئة ادارته وخدمه ولم يطل الحال بهذا المستشفى كثيرا حتى صار يتدهور شيئا فشيئا لخلوه من العناصر التي تكفل رقيه وتقدمه حتى عين الدكتور الجراح محمد كاني بك مديرا له وبذلك انقذ المستشفى من التدهور مدة من الزمن وقد بقي الدكتور مديرا له حتى الاحتلال البريطاني وفي محله اسس هؤلاء المستشفى المدني الذي سيأتيك خبره في الفصول القادمة عند الحديث عن المستشفيات بعد الاحتلال ٠

وفي عهد الدكتور كاني بدئ باسناد وظائف التمريض الى النساء فعهد الى طائفة من الراهبات الافرنسيات كانوا خير عامل لرقي المستشفى ودخوله طورا جديدا من النظام والترتيب ٠

وكانت البلدية تقوم بنفقات المستشفى ومع انه كان يكفي لاستيعاب (١٠٣) اسرة فان البلدية لم تكن تسمح باكثر من ثمانين سريرا تدفع عن نفقات ايوائهم واطعامهم وعلاجهم ثلاثة قروش عن كل مريض يوميا ٠ وكان هذا المبلغ كافيا حينذاك نظرا لرخص المعيشة ٠

وقبل ان تقوم البلدية بنفقات المستشفى كانت واردات العبور على جسر الخر تحبس عليه سدا لحاجاته وكانت هذه الواردات تبلغ الثلاثة آلاف ليرة تركية سنويا فاذا ما قصر هذا المبلغ عن سد الحاجة كانت البلدية تتم العجز من ميزانيتها الخاصة ٠

ولم تكن الظروف الموجودة لتسمح بتزييد عدد الاسرة فلم تبلغ هذه المائة سريرا وقد حاول الوالي جاويد باشا عام ١٩١٤ م اصلاح المستشفى وتزييد عدد الاسرة الا ان العداء المستحكم بين رجال الترك

حال دون ذلك ودون غيره من ابواب الاصلاح والتعمير . ولم يحصل المستشفى على مساعدة ما الا مبلغا قدره الف ليرة تركية تمكن ثريا بك مدير المصالح الصحية ان يحصل عليها من دائرة الأوقاف بموافقة استانبول .

وقد اخلي المستشفى تماما قبيل احتلال الانكليز لبغداد عام ١٩١٧ كما سيأتي تفصيل ذلك في حينه .

وكان الى جانب ذلك مستشفى عسكري يقوم بحاجات الجيش العسكرية .

ولم تكن هناك ادارة صحية خاصة حتى عام ١٩٠٥ م وفيها تشكلت شبه ادارة من مفتش صحي تركي يعاونه طبيبا البلدية وبمعيتهم كاتب واحد وكانت هذه الادارة الساذجة هي كل ما وجده العراق من هيئات صحية حتى الحرب العامة .

بقت بغداد حتى الحرب العامة ميدانا فسيحا لعبث الدجالين والمشعوذين ومرتعا خصبا للمتطببين واصحاب الخرافات ؛ وكانت النساء يلعبن دور الأطباء فيصفن العقاقير والسموم ويداوين العيون ويفتكن بالصحة ، وكان البعض من المرتزقة والمشعوذين يستخدمون الدين لاغراضهم فينتشرون ببزات رجاله يبيعون الأدعية والطلاسم ونحو ذلك .

ولعل في البحث عن هؤلاء المتطببين والمشعوذين لذة خاصة تدعونا الى تتبع اخبارهم وسنقص عليك نبأ بعضهم ولنبدأ باشهرهم حكيم خدادا .

حكيم خدادا

وهو مشعوذ من همدان بايران ، تعلم صناعة العقافير واستعمالها من بعض المشعوذين الايرانيين ووفد الى بغداد عام ١٨٨٥م فاستاجر دارا له في احدى ازقة محلة (طاطران) سمي باسمه ولا زال يعرف به حتى اليوم ، وذاع صيته وعمت شهرته وصار الطبيب الخاص لكثير من الاسر الكبيرة . وكان رجلا خلوقا بشوشا يرتدي الكلاو الايراني والجبة والشال في وسط الحزام ويجلس في محل عيادته على مصطبة عالية

ويجلس حوله المرضى على تخوت خشبية ويصف العقاقير لكل منهم · وكان من ادويته التي يكثر استعمالها في تلك الايام ورد بنفشة · ورد لسان الثور · ورد ماوي · خوبا · سنامكي · ورد الختما · دهن اللوز · دهن الخروع · شكر احمر · فلوس · كبريت ذهبي · كاك هندي · خشخاش الشام · عقيقة الحمارة · دولاب العجوز · خشب المرة · قشرة كنكينة · اهليلج · عدس المرة · حليب الحمار · ماء الجبن · ماء الهندبة · بزر خيارين · بزر الخس · بزر الريحان · بابونك · عشبة (جوبجيني) قطونيا · بالنكو · بارتنك · قطر مكي · حب سفرجل · ترياق · مردارسنك · طين ارمني · طباشير · حب بخور · عنقوزي · كزبرة وعناب · بزر بربين · طين جلود · دهن الشجر · لبكا · مشوكة · لحية الشيخ · تنزيل خطائي · عنب الثعلب · بزر مكي · شربت افتيمون · باي زهر · ماروميكي · حب سليمان · زنجبيل · شير خشبت) ·

وكان خدادا عدا ذلك يستعمل بعض الادوية الافرنجية كالكينا (الكينين) والسانتونين (جوهر الدود) والكالوميل وانتيبرين وغيرها ·

وكان يركب جواده كل يوم تقريبا ويذهب الى الكاظمية لعيادة مرضاه · وكان يسير في الشوارع بكل احتشام ويركب وراءه واحد او اثنان من الخدم · وكان لا يعرف التخاطب باية لغة اجنبية ·

ومن الغريب ان الحكيم خدادا لم يكن يتقاضى اجرة للمعاينة في عيادته انما كان ينتظر الهدايا من المريض عند شفائه · على انه كان يتقاضى اجرا عن العيادات البيتية · وهكذا ظل خدادا متمتعا بالشهرة الواسعة والمكانة العالية بين الناس نحو عشرين سنة · ومات اخيرا بمرض الطاعون · وكان خدادا خلال السنوات العشر الاولى من قدومه الى بغداد لا يجد مزاحما له الامر الذي ساعده كثيرا على اكتساب ثقة الناس · لكنه ما عتم ان ظهر في السنوات العشر الاخيرة من حياته بعض الاطباء

والمشعوذين البارزين الذين اكتسبوا في ايامهم شهرة واسعة نخص بالذكر منهم ما يلي :ـ

١ ـ الدكتور ادلر

كان هذا طبيبا نمسويا لبس الطربوش في اول عهده ثم عاد الى القبعة الافرنجية · وقد كان مستخدما في الجيش العثماني ثم استقال من وظيفته وفتح عيادة خاصة في منزل يقع في محلة رأس القرية · وقد كان ادلر طبيبا فنيا يحمل شهادة عالية وكان ينظم سجلا خاصا لمرضاه ويعالجهم بجميع الوسائل الفنية الحديثة ·

٢ ـ الدكتور لازار

وكان هذا ايضا طبيبا نمسويا ولم يكن من حاملي الشهادة الطبية على ما يقال · ولكنه كان موظفا في البلدية ويلبس الطربوش · ولما كان لا يحسن اللغة التركية فقد كان يساعده في تنظيم التقارير كاتب له يدعى نشأت افندي · وقد كان هذا الطبيب يسكن في رأس القرية ايضا وقد اكتسب شهرة واسعة وكان بعكس الدكتور ادلر لا يتبع الاساليب الفنية ولم يكن لديه سجل خاص للمرضاء ·

ومن غريب ما يحكى ان الدكتور لازار هذا سافر مرة للاصطياف واشار على مرضاه ان يراجعوا الدكتور ادلر عند غيابه · ولكن هؤلاء عندما راجعوا الدكتور ادلر استغربوا من معاملته وارتدوا عنه قائلين : « ما هذا الحكيم ؟ انه لا يجس النبض لتشخيص المرض كما كان يفعل الدكتور لازار ، انما يتذرع بالاسئلة التافهة الكثيرة مثل ما اسمك ؟ وما اسم ابيك ؟ واين تسكن ؟ واين مات ابوك ؟ وهكذا يقضي اكثر من ربع ساعة حتى يتمكن من تشخيص المرض ! » ·

وكان الدكتور لازار خلوقا بشوشا وبذلك اكتسب شهرة واسعة وبالاخير سافر من بغداد الى اوربا لدخول احدى الجامعات والحصول على الشهادة الطبية لكنه ذهب ولم يعد ·

٣ ـ الدكتور يانكو

كان طبيبا عسكريا ذا شهرة واسعة في بغداد ·

obeikandl.com

٤ ـ السيد احمد

كان متطبيا من اهالي بغداد يسكن في الدهانة ٠

٥ ـ السيد ارسطو

وكان متطبيا ايرانيا يقيم في الدهانة ايضا ، وقد اكتسب شهرة واسعة بذكائه وبراعة اسلوبه ٠

٦ ـ الحاج محسن القندهاري

كان يقيم في خان الرواق ٠

٧ ـ فرحة خاتون

وكانت هذه الخاتون تداوي العيون وعلى يديها الكريمتين شفيت بعض امراض العيون وعميت اكثر العيون التي تسلمتها بالعناية ومع هذا فقد كانت ذائعة الصيت يراجعها الشعب على اختلاف طبقاته وهذا امر طبيعي لعدم وجود اطباء اخصائيين ٠

هؤلاء بعض من تعيهم الذاكرة من المشعوذين والدجالين ، ولم يكن بينهم الطبيب الصحيح الا الدكتور ادلر النمسوي ٠ ويمكن تلخيص الاسباب التي دعت الى شهرة هؤلاء فيما يلي :ـ

١ ـ الجهل والخرافات ٠

٢ ـ عدم وجود العدد الكافي من الاطباء الفنيين ٠

٣ ـ تأخر الطب والجراحة فيذلك العهد بالنسبة الى رقيهما العظيم اليوم سيما وان كثيرا من الادوية وطرق العلاج والفحص لم تكتشف الا بعد الحرب العامة ٠

٤ ـ اهمال الدولة العثمانية لامور الولايات ٠

obeikandl.com